مجلة

كلية التربية | جامعة الخرطوم

العدد الخامس عشر | السنة الثانية عشرة

مارس ٢٠٢٠م

تراجمُ الشُّعراءِ السُّودانيين بين موسوعةِ الشِّعر السُّوداني الفصيحِ (١٩١٩-٢٠١٩م) لفاطمة بوهراكة، وكتبِ التَّراجمِ السُّودانيّة.

د. المكاشفي إبراهيم عبدالله محمد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربيِّة

كليِّة التربيِّة – جامعة الخرطوم

تراجمُ الشُّعراءِ السُّودانيين بين موسوعةِ الشِّعر السُّوداني الفصيحِ (١٩١٩-٢٠١٩م) لفاطمة بوهراكة، وكتبِ التَّراجمِ السُّودانيّة.

إعداد د. المكاشفي إبراهيم عبدالله محمد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربيِّة- كليِّة التربيِّة –جامعة الخرطوم

مستخلص

هدفت الدراسة إلى بيان الدور البيبلوغرافي الذي لعبته موسوعة الشعر السوداني الفصيح (١٩١٩-٢٠١٩م) ، لفاطمة بوهراكة، ومقارنته بكتب التراجم السودانية منهجاً وكماً وكيفاً،ومن هنا تتأتى أهميّة الدراسة متمثلة في فحصها لمنهج التوثيق الذي وُثِّقَ بهللشعر السوداني الفصيح إبان مائة عام فائتة. انتهجت الدراسة المنهج الوصفي ، وتوصلت إلى عدد من النتائج، أهمها: ضعف الاهتمام بالتوثيق في السودان عامة ، وخروج منهج التوثيق - في بعض كتب التوثيق السودانيّة- عن ثلاثيّة التوثيق العلميّة، المتمثلة في السيرة الأدبيّة، والنموذج الشعري والصورة الفوتوغرافيّة إلى الحديث عن قبيلة الشاعر وأخلاقه وأسرته. التزام موسوعة بوهراكة بالمنهج العلميّ في التوثيق وحيادها التام عن التدخل في تفاصيل الحياة الذاتيّة للشعراء الموثّق لهم، الأمر الذي ساعد على تقديم ثلاثمائة واثنين شاعراً وشاعرة بطريقة سلسة ومفهومة إلى حد كبير. اهتمام الموسوعة بشعر النساء وتقديمها لأربعين شاعرة للمكتبة العربيّة عامة والسودانيّة خاصة، في سبق لم تستطعه جل الكتب السودانيّة التي توفرت على عدد خمس عشرة شاعرة فقط.

Abstract

This study aimed at reporting the bibliographical role that is played by the Encyclopedia of the Sudanese Eloquent Poetry (1919 – 2019) for Fatima Bohraka and comparing its methodology, quantitative and qualitative aspects with the other Sudanese bibliographies. Thus the importance of this study comes from inspecting the methodology of bibliography that is

adopted during the last 100 years. The study followed the descriptive approach. The most important findings of the study are: little attention has been given to poetic bibliography all over Sudan. The deviation of bibliography – in some Sudanese bibliographies - from the trilogy of bibliography which represented in artistic bibliography, poetic sample, and the poet's photo to discuss the poet's tribe, personal characteristics and his family. Another finding was that Fatima Bohraka's encyclopedia has adhered to the scientific method in bibliography and its neutral handling towards interfering in the poets private issues thus a three hundred and two he/she poets were presented in refine and understandable style to a large extent. A special attention was given to women's poetry, so forty female poets were addressed in the Arabic library and particularly to the Sudanese library preceding most available Sudanese books that presented only fifteen female poets.

المقدمة :

الحمدلله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

لم يكن في خاطري -وأنا أتصفحُ وأفاتشُ موسوعة الشعر السودانيّ الفصيح من إعداد فاطمة بوهراكة – أن أكتبَ حولها ناقداً يتفحصها وصيرفياً يميز جيدها من رديئها، أو مهتماً يقف عند الدور البيبلوغرافي الذي لعبته الموسوعة في رصد الشعر السوداني الفصيح وتوثيقه، إبان مائة عام فائتة (١٩١٩-٢٠١٩م)؛ إذ أن في جمهرة الشعر السوداني الذي استوعبته الموسوعة وحشد الشعراء الذي أُوفِدَ إليها سببٌ قمين ودافع معين لتناول موضوع –بالدراسة والتحليل- من موضوعات الشعر الذي تزخر به الموسوعة وتتعدد موضوعاته وأغراضه وتتمايز أشكاله بين التقليد والحداثة، ولكنني آثرت –طامحاً – أن أكتب حول الموسوعة نفسها؛ واصفاً لمنهجها في التوثيق ومقارناً إياه بمناهج الكتب السودانيّة التي اشتغلت على التوثيق إبَّان مائة عام مضت، وهي الفترة التي التزمت بها الموسوعة؛ وذلك لأهمية التوثيق أوَّلاً ولقلة الكتب التي اشتغلت على توثيق الشعر السودانيّ الفصيح ثانياً، وهذا -لا شك- أدعى لإثارة الاهتمام بتوثيق الشعر السودانيّ الفصيح ونبشه من قبور الإهمال وبعث الحياة فيه من جديد.

بهذا الوعي ولتلك الأسباب ولجتُ الباب ناقداً للموسوعة، ومقارناً لمنهجها في التوثيق

بمنهج التراجم السودانيّة، آخذاً في الاعتبار قول المحجوب:" ليس النقد كما يتوهم الناس حطاً من قدر المنقود وتشنيعا لسمعته وتدميراً لما بناه، ولكن النقد إنصاف للمنقود وإرشاده لمعرفة نواحي الضعف في نفسه ونواحي القوة والإجادة".(المحجوب، ١٩٩٩م،٢٨).

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان الدور البيبلوغرافيّ الذي لعبته موسوعة الشعر السودانيّ الفصيح (١٩١٩-٢٠١٩م) ، لفاطمة بوهراكة، ومقارنته بكتب التراجم السودانيّة منهجاً وكمّاً وكيفاً ، وصولاً إلى نتائج علميّة معضدة بالأدلة ومصفدة عن الهوى والميل.

أهميّة الدراسة:

تأتي أهميّة الدراسة من أهميّة التوثيق نفسه، ولا شكَّ أنّ الشعر السودانيّ في حاجة ماسة إلى منهج علميّ سليم في التوثيق ، ليكتمل هرمه فيصبح بائناً للعيان بين أهرامات الشعر العربي الفصيح في الوطن العربي عامة.

منهج الدراسة:

أرشد التقدير إلى استخدام المنهج الوصفي ، وبناءً على ذلك جاءت الدراسة في مبحثين – تصدرتهما مقدمة وأعقبتهما خاتمة تضمنت أهم النتائج.

المبحث الأوَّل

تفاصيل عامة حول الموسوعة

جاء عنوان الموسوعة موسوماً بـ "موسوعة الشعر السودانيّ الفصيح (١٩١٩-٢٠١٩م)" مقيداً بفترة زمنية تمتد إلى مائة عام، وفي هذا إشارة إلى أن التمشيط البيبلوغرافي سيشمل شعراء وشاعرات تلك الحقبة، معرفاً بهم في تراجم مختصرة مع ذكر نموذج شعري وصورة فوتغرافية، التزاماً بأسس وقواعد البيبلوغرافيا الحديثة " التي تختص برصد مؤلفات العلماء والمفكرين والمبدعين؛ لتعرف بها، بغض النظر عن موضوعات مؤلفاتهم وأنواع تخصصاتهم".(صوفي، ب ت، ٤٧).

وعليه فليس مهماً أن يكون الشاعر الموثَّق له ، كبيراً أو صغيراً، مشهوراً أو مغموراً ، ولا

أهميّة لامتياز شعره بالجودة من عدمها؛ لأن هذه تفاصيل لا تعني الموثق في شيء! فالتقويم والتقييم من بعد.. مهمة النقد والنقاد فحسب.

من هذا المنطلق جاءت الموسوعة في ٨٧١ صفحة من الحجم الكبير لتشمل بالتوثيق ثلاثمائة واثنين شاعراً وشاعرة، منهم أكثر من ثلاثين شاعراً من جيل الرواد ممن يكتبون الشعر التقليدي، أمثال عمر البنا ومحمد سعيد العباسي وعبدالله عبدالرحمن ، ومن جاء بعدهم من دعاة التجديد في الشعر السودانيّ من أمثال حمزة الملك طنبل والتجاني يوسف بشير ومحمد أحمد المحجوب وغيرهم... وكذلك من أعقبهم من أمثال محمد محمد علي وإدريس جماع والهادي آدم ومحمد مفتاح الفيتوري ومحمد المهدي المجذوب وغيرهم ... وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

وكذلك وثقت الموسوعة لشعراء معاصرين مشهورين ومغمورين على حدٍّ سواء ، بل شمل التوثيق شعراء مبتدئين في باكورة تجاربهم الشعريّة، لم تتجاوز سنهم الثلاثين عاما! وفي هذا ربط للماضي بالحاضر واستشراف للمستقبل.

وبلغ عدد النساء من الشاعرات الموثق لهن أربعين شاعرة ، كأكبر عدد لم يتوصل له فيما سبق من توثيق لشعر النساء في السودان، بينهن رائدات ما زلن على قيد الحياة، لهن دواوينهن الشعريّة ولكنهن مغمورات الذكر لا يعرفهن إلّا القليل.

وكما تنوعت شخصيّات الموسوعة بين التقليد والتجديد والحداثة ، فقد تنوعت موضوعاتها الشعريّة لتشمل جلَّ اتجاهات وتيارات الشعر السوداني الفصيح -إبان تلك الفترة- من شعر تقليدي ينضوي تحت أغراض الشعر العربي القديمة المألوفة ، من مدح ورثاء وغزل إلخ... ومن شعر تجديدي رومانتيكي إلى شعر الحداثة بأسمائه المختلفة، متبوعاً ذلك بنزعات سياسيّة واجتماعيّة ووطنيّة وفلسفيّة، فقد غطت الموسوعة كل ألوان الطيف الشعريّ في السودان باتجاهاته وتياراته ومدارسه المختلفة إلى حد كبير.

وتباعاً لتعدد الموضوعات الشعرية المختلفة في الموسوعة، فقد تعددت أشكال القصيد أيضاً ، وكان الحظ الأوفر للقصيدة التقليديّة في شكلها العمودي الذي يجري على أبحر الخليل ونظامه العروضي، ثم تليها قصيدة التفعيلة ثم قصيدة النثر بصورة أقل.

ولتعضيد هذا الكلام إليكم الإحصائيّات التالية:

العدد الكلي لشعراء وشاعرات الموسوعة : ٣٠٢ شاعراً وشاعرة.

٢٦٢ شاعراً بنسبة ٨٦,٧ %

٤٠ شاعرة بنسبة ١٣,٣ %

الأحياء منهم(حتى وقت كتابة البحث) ١٩٣ بنسبة ٦٣,٩ %

الأموات ١٠٩ بنسبة ٣٦,١ %

الرواد ٣٣ بنسبة ١٠,٩ %

الشباب ٩٦ بنسبة ٣١,٨ %

١٣٦ شاعرا وشاعرة لهم دواوين مطبوعة بنسبة ٤٥,١%

١٠١ ليس لهم دواوين مطبوعة بنسبة ٣٣,٤%

٣٣ لهم دواوين تحت الطبع بنسبة ١٠,٩%

٣٠ لهم دواوين مخطوطة وليس تحت الطبع بنسبة ٩,٩%

يوجد ديوان واحد منشور إلكترونيا بنسبة ٠,٣ %

يوجد ديوان واحد كاسيت مسموع ٠,٣%

عدد النساء ودواوينهن :

العدد الكلي ٤٠

٢٢ لهن دواوين مطبوعة بنسبة ٥٥%

١٢ لهن دواوين تحت الطبع بنسبة ٣٠,٨ %

٦ ليس لهن دواوين بنسبة ١٥,٧%

شعراء دون سن الثلاثين ودواوينهم :

العدد الكلي ١٧ شاعراً وشاعرة بنسبة ٥,٦%

٢ لهما دواوين مطبوعة بنسبة ١١,٨%

٨ لهم دواوين تحت الطبع بنسبة ٤٧,١%

يوجد ديوان واحد منشور إلكترونيا بنسبة ٥,٩ %

٣ لهم دواوين مخطوطة ١٧,٦ %

٣ ليس لهم دواوين مطبوعة ١٧,٦%

عدد الشكل الشعري في الموسوعة ونسبته :

العدد الكلي للقصائد ٣٠٢ قصيدة

١٦٧ قصيدة عمودية بنسبة ٥٥,٣%

١٠٧ قصيدة تفعيلة بنسبة ٣٥,٥%

٢٨ قصيدة نثرية بنسبة ٩,٢%

وباستقراء ما سبق يمكن القول بأن الموسوعة بفضل التزامها للمنهج السليم في التوثيق استطاعت أن تضم بين دفتيها ثلاثمائة واثنين شاعراً وشاعرة بمختلف توجهاتهم الأيدلوجيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، مع تباين أعمارهم وتجاربهم الشعريّة ومنطلقهم الشعريّ بتياراته واتجاهاته المختلفة شكلاً ومضمونا، ولذلك صنعت الموسوعة فوارق عظيمة مقارنة بكتب التوثيق والتراجم السودانيّة ، من حيث العدد الذي رصدته عامة، ولا سيما رصدها وتوثيقها لأربعين شاعرة، ومن حيث إبرازها لشعراء معاصرين مغمورين لم يوثق لهم من قبل، مع غزارة إنتاجهم ودواوينهم المطبوعة أو المخطوطة التي لم ترَ النور بعد. ينضاف إلى ذلك اهتمامها بالحركة الشعريّة الشبابية وهي في باكورة تكوينها الأدبي لم تنضج تجاربها وتكتمل.

كل هذا وغيره جعل الموسوعة تضرب بسهم كبير وجهد مقدر في رصد الحراك الشعريّ الفصيح في السودان، لتقف جنباً إلى جنب مصادر التوثيق السودانيّة، هذا إذا لم تتقدمها حقا.

ولعل في هذا قناعة تامة إلى ضرورة مقارنة الموسوعة ومنهجها ببعض الكتب التي توفرت على توثيق ورصد الشعر السودانيّ الفصيح إبان مائة عام ماضية، وهي الفترة التي حاولت الموسوعة أن تغطيها بيبلوغرافياً.

المبحث الثَّاني

دور الموسوعة ومقارنتها بكتب التوثيق والتراجم السودانيّة

ليس يسيراً أمر التوثيق في السودان ؛ لأسباب كثيرة وصعاب جمّة ، ذكرت صاحبة الموسوعة بعضا منها في مقدمتها ، منها :

- ندرة المصادر التي تتناول الشعر السودانيّ الفصيح.

- ضعف البحث التوثيقيّ للحركة الأدبيّة في السودان.
- ازدواجيّة الشعراء ممن كتبوا الشعر الفصيح والشعبي معاً، واستمروا في اتجاه دون الآخر.
- غزارة الإنتاج الشعريّ السودانيّ وخصوبة البيئة السودانيّة، الأمر الذي يجعل مهمّة حصر أسمائها شبه مستحيلة. (بوهراكة، ٢٠١٩م، ٦-٧).

يعضّد هذا الكلام بعضُ أقوالِ الباحثين والمهتمين بأمر التوثيق الشعريّ في السودان، يقول محمد الواثق في مقدمة كتابه :"الشعر السودانيّ في القرن العشرين آراء وقصائد مختارة" كانت كتابة السير الذاتيّة من الأمور العسيفة؛ إذ ندر أن يكتب الشاعر سيرته كما هو شائع في أوربا. استدعى ذلك أن يلتقط المؤلف سيرة الشاعر من هنا وهناك، وقد يتعذر تحديد سن الميلاد والوفاة لاضطراب التواريخ أو عدم تسجيلها أصلا".(الواثق، ٢٠٠٩م،٤).

ومما سبق يتضح جلياً صعوبة العمل على التوثيق الشعريّ في السودان لإهمال الشعراء لسيرهم الذاتيّة والأدبيّة ، ولغياب الموثّق الذي يرصد معلوماتهم الأدبيّة ، وغياب التواتر في حركة التوثيق السودانيّة عامة.

وبالرجوع إلى بواكير الحركة التوثيقيّة في السودان، إبان القرن العشرين؛ لمفاتشتها والوقوف عند منهاجها في التوثيق- فإنَّ أول كتاب له السبق في تلك الفترة ، كتاب " شعراء السودان" لسعد ميخائيل، الذي ذكر في مقدمته: "فإذا ما رأيتني أيها المنتقد الأديب قد أغفلت شاعراً أنت تعرفه وتقر بشاعريته فاعلم أنني عانيت أشد ما يعاني إنسان في جمع هذا الكتيّب ولا أخفيك أنّ بعض الشعراء قد رفضوا بتاتاً أن يعرضوا أدبهم في كتاب شعراء السودان فربما كان ذلك الشاعر واحداً منهم".(سعد ميخائيل، ب ت، ٣).

ويفهم من كلامسعد ميخائيل –آنفاً- سببٌ آخر ينضاف إلى جملة الأسباب المعيقة لحركة التوثيق الشعريّ في السودان، هو : رفض بعض الشعراء عرض أشعارهم لأسباب تخصَّهم، لا يعرفها غيرهم.

وحتى لا يغضب صديق ويرضى الآخر فقد رتّب سعد كتابه على حروف الهجاء، وهذا في رأيه إرضاء للجميع. (المصدر نفسه، ٣).

وبغض النظر عن الغرض الذي صنع سعد من أجله الكتاب وجمعه، فإنه قد حفظ شيئاً ذا بال وضرب بسهم في حركة توثيق الشعر الفصيح في السودان.

هذا وإذا نظرنا –بعين النقد- إلى منهج الكتاب فالحكم أن سعداً تجافى وبعد كثيراً عن المنهج العلميّ المتّبع في التوثيق وتراجم السير المنوطة بالأدباء والشعراء. فمال سعد إلى المدح والإطراء سواء تعلّق الأمر بسير المترجم لهم أو بأشعارهم، وهذا تدخل عسيف وشأن من شؤون النقاد فحسب. وحتى لا يكون في الأمر تحامل وافتراء أسوق إليكم نموذجاً –وغيره عشرات النماذج- لمنهج سعد في بعض من ترجم لهم.

يقول في ترجمة الشيخ الطيب أحمد هاشم :"ما أمسكت القلم لأكتب كلمة عن صاحب الفضيلة الشيخ الطيب أحمد هاشم إلا وخطر لي قول شاعر مصر الكبير حافظ بك إبراهيم في مدحه لسراج الأمة الشيخ محمد عبده :

لئن ظفر الإسلام منك بفاضل ** فقد ظفر الإفتاء منك بأفضل

ولا عجب فإن منصب الإفتاء في السودان ليفخر ؛ إذ تبوأه صاحب الفضيلة الشيخ الطيب بما منحه المولى من الأدب والتعمُّق في الدين... وهو عدا ذلك شاعر رقيق زكي الفؤاد. (سعد ميخائيل، ب ت، ٤٥).

وبعد هذا التجوال يندرج بك إلى تاريخ ميلاده قائلاً :ولد ببربر عام ١٢٧٣هـ ، وهو نجل الشيخ أحمد هاشم ، ينتهي نسبه إلى العباس بن عبدالمطلب ، عمِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهكذا.

وكان طبيعيّا أن جوبه كتاب سعد بنقد شديد ، فقد تعرَّض له الأمين علي مدني وكان – آنذاك- من الشباب المتحمسين لدعوة التجديد في الشعر السودانيِّ فسخر منه وتهكم قائلاً:" لقد أساء سعد إلى الأدب من حيث أراد أن يحسن إليه؛ فما من ترجمة إلا وكان صاحبها شاعراً مجيداً ، يعد من فحول الشعراء وما شاكل ذلك من كلمات المدح والإطراء".(مدني، ب ت، ٦٣).

ثم تناول الكتاب -من بعد الأمين – الناقد حمزة الملك طمبل، ولكن نقده جاء معتدلاً، يقول :" إذا ما قسنا قيمة ما في الكتاب من الشعر على ما بلغته درجة الشعر من الرقي في غير هذا البلد، لصح أن نقول : إنه يساوي واحداً أو اثنين فوق الصفر لا تحته، ولكنه بالقياس إلى هذه السنين القليلة التي بدأ فيها السودان سيره دارجاً في حياته الجديدة – فهو شيء يذكر نؤمل من وراءه آمالاً تذكر".(طنبل، ب ت، ٦٣).

وحقيق أن الكتاب إذا قيس بمنهج التوثيق العلميّ المتّبع اليوم فهو لا يساوي شيئاً وبه

تجاوزات كثيرة ، ولكن إذا ما قيس بمعطيّات تلك الفترة فهو لا شك يعتبر لبنة أولى لتوثيق الشعر السودانيّ الفصيح إبان القرن المنصرم، على عِلّاته فحسب.

ويلي كتاب شعراء السودان في رصد وتوثيق الشعر السوداني الفصيح كتاب " نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع" لمحمد عبدالرحيم. ورغم أن ثلثي الكتاب في التاريخ والاجتماع ، إلا أن ثلثاً منه خُصَّ بالتوثيق لأكثر من ثلاثين شاعراً ممن عاشوا في عصري الأتراك والمهديّة ، إضافة لمن شهدوا نهايات المهديّة وامتدت أعمارهم إلى ما بعد استقلال السودان ١٩٥٥م بقليل.

وذكر محمد عبدالرحيم في مقدمته :" أنه واجه صعاباً جمة رغم غيرته ودفاعه عن عرض قومه وركوبه متن الشطط في معاناة البحث والتمحيص لإثبات أنسابهم وتدوين مآثرهم ، إلا أنه أساء إليه كثير من زعانفهم توهماً منهم بأنه سجَّل سقطات آبائهم ووصمهم بالعار قبل أن يروا شيئاً مما كتب".(محمد عبدالرحيم، ب ت، المقدمة (ج)).

وبهذا يضيف محمد عبدالرحيم بعداً اجتماعياً آخرا له يد في إعاقة سير حركة التوثيق السودانيّة!.

وأما منهجه في الكتاب فأقرب فيه إلى الناقد من الموثّق المحايد، يلمس ذلك في قوله:" وسنعرض الآن لبعض من شعراء الشيوخ والشباب آخذين عليهم ما نجد عندهم من ضعف ، مشيدين بما نظفر به عندهم من قوة".

ولذلك فهو عندما يتحدث عن العباسي يتحدث إليك حديث المعجب من نحو قوله :" والحق أنَّا لن نجد في شعراء السودان من هو أرقُّ ديباجة وأشرق أسلوبا وأسرى كلمات وأرفه جملا من الأستاذ العباسي".(المصدر نفسه، ١٣٥).

ومن مثل قوله عن الشاعر محمد الأمين القرشي ... وكانت والدته جعليّة "عمرابيّة"، أما والده فالفقيه القرشي ولد البصير الحسين المشهور. (المصدر نفسه، ١٤٥).

وغير ذلك، كثيراً من التفاصيل التي لا تعني الموثّق في شيء.

ولكن بالنظر إلى ذلك الزمان ومحدوديته ، فالكتاب ينضاف كلبنة أخرى إلى كتاب "شعراء السودان" في توثيق الشعر السودانيّ الفصيح في القرن العشرين.

ثم يليه كتاب "قصائد من الشرق" لحسان أبو عاقلة الذي ترجم فيه لثمانية وسبعين

شاعراً -منهم ثلاث شاعرات- جلّهم من شرق السودان، التزم الكتاب المنهج العلميّ في التوثيق من خلال التركيز على المعلومات الأساسيّة للشاعر ثم تقفية ذلك بنموذج من شعره.

لكن الكتاب حصر عمله التوثيقيّ على من ينتمون للشرق جغرافيّاً وعرقيّاً وعبقريّاً، جاء في مقدمته :"في هذا الديوان رموز للشرق في البحر الأحمر وكسلا والقضارف والبطانة وحلفا ، ينتمون جغرافيّاً أو عرقيّاً أو عبقريّا إلى هذا المكان، وعبقريّة المكان هي الصلة الأعذب رفداً وجمال الشرق هو الصلة ومصدر الفن والوحي والإبداع الذي جمع كل هؤلاء الشعراء؛ فتفجرّتعبقرياتهم شعراً متدفقاً".(أبو عاقلة، ب ت، ٧).

إذن فمنهج الكتاب في الاختيار قائم على انتماء الشاعر الجغرافيّ والعرقيّ لشرق السودان، أو انتمائه لعبقريّة المكان ووحيه الإبداعيّ، مع ملاحظة ذكر أكثر من نموذج للشاعر الواحد، وفي ذلك خير كثير؛ مقارنة بتلك الفترة التي لم تطبع فيها الدواوين طباعة كثيرة وشائعة. وإن يؤخذ على منهج الكتاب عدم ترتيب الشعراء الموثّق لهم وفقاً لأحرف الهجاء كما هو معتاد في كتب التوثيق والتراجم. وكذلك عدم الإتيان بصور فوتوغرافيّة لمن ترجم لهم.

ومن بعده تجدر الإشارة إلى كتاب " رواد الفكر السوداني لمحجوب عمر باشري، الذي تُرجم فيه لسبعة عشر ومائة شخصيّة من الرواد في مجال السياسة والاجتماع والثقافة والأدب، منهم ستة وعشرون شاعراً – على حد التقريب- ليس من بينهم شاعرة واحدة. ومنهج الكتاب خليط من التاريخ والانطباع والمؤانسة ، يوضح ذلك قول المؤلف في مقدمته:"ليس هذا كتاباً في التاريخ، كما أنه ليس صحائف في أدب السيرة ، فأنا لست مؤرخاً ولا كاتب سيرة".(باشري، ١٩٩١، ٥).

والحق أن الكتاب انطباع ومؤانسة وشيء من التاريخ ؛ فربما تقرأ صفحة كاملة ولا تعثر على معلومة من معلومات التوثيق المناط بها.ثم أنه لم يأتِ بنموذج شعري لمن ترجم لهم من الشعراء، مع خلو الكتاب من ذكر أي رائدة سواءً في مجال السياسة والاجتماع أو الثقافة والأدب.

ويأتي في الترتيب تباعاً كتيّب مختارات من الشعر السودانيّ بين التقليد والتوق إلى الحداثة لمجذوب عيدروس، نشر ضمن سلسلة كتاب في جريدة الذي يصدر تحت رعاية اليونسكو منذ ١٩٩٦م. وحقيقة الأمر أن الكتاب له حظ كبير من اسمه، فهو مختارات لشعراء رواد في غالبيتهم، وآخرين قلّة غيرهم، مع ترجمة مقتضبة لا تتجاوز ذكر تاريخ الميلاد والدواوين والوفاة – إن وجدت- وفي بعضها يُكتفى بذكر الجيل الذي عاصره الشاعر أو ما يمتاز به شعره من

الجودة والذيوع.

وقد ترجم فيه لستة وعشرين شاعراً بينهم شاعرة واحدة، هي "نجلاء حسن التوم"، (مجذوب عيدروس، ٢٠٠٥م،١٨).

مع ملاحظة عدم الإتيان بمعلومات السيرة الذاتيّة والأدبيّة للشاعر جيلي عبدالرحمن، (عيدروس ٢٠٠٥م ص٣١) وكذلك عدم ترتيب الشعراء المذكورين وفق أحرف الهجاء، وعدم الإتيان بصور فوتوغرافيّة لهم.

ثم يأتي كتاب " الشعر السودانيّ في القرن العشرين آراء وقصائد مختارة" لمحمد الواثق ، والكتاب إن لم يكن مقصوداً به الترجمة فقط ، كما ذكر مؤلفه في تصديره:" ليس الغرض من تأليف هذا الكتاب أن يكون معجماً للشعراء في القرن العشرين، بقدر ما يكون المؤمل منه أن يسبر غور تتالي مراحل الشعر في القرن المنصرم".(الواثق، ٢٠٠٩م،٤).

إلا أنه ترجم لثلاثين شاعراً جلّهم من الرواد من بينهم شاعرة واحدة هي" روضة الحاج"، مع عدم التزام منهج التوثيق في ترتيب الشعراء على أحرف الهجاء، وغياب الصور تماماً خلا تسع صور على غلاف الكتاب الخارجي.

ويلي كتاب الواثق كتيّب " شاعرات من السودان " لروضة الحاج التي ترجمت فيه لإحدى عشرة شاعرة ، ليكتمل العدد اثنتي عشرة شاعرة بتضمينها لنفسها، ضمن الشاعرات المترجم لهن. ورغم تواضع الكتاب في حجمه البيبلوغرافيّ وإغفاله لذكر بعض الرائدات أمثال: صفيّة الشيخ الأمين والرضيّة آدم وسميرة الغالي وغيرهن، إلا أنها التزمت فيه المنهج العلميّ من خلال التركيز على ثلاثيّة التوثيق العلميّ المتمثلة في السيرة الأدبيّة والنموذج الشعريّ والصورة الفوتغرافيّة.

هذا ما انتهى إليه أمر الكتب التي توفرت على التوثيق الشعريّ في السودان، ولا أزعم أنني وقفت عندها كلها ،ولكنني أطمئن إلى حصرها باستثناء القليل منها إن وجد!.

وعليه فإن مجموع هذه الكتب التي وقفت عندها وتفاصيلها بلغة الأرقام يأتي على النحو التالي:

اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد الشعراء الموثق لهم	عدد الصور
شعراء السودان	سعد ميخائيل	٣٧ شاعراً	٢٥
نفثات اليراع	محمد عبدالرحيم	٣١ شاعراً	٩

قصائد من الشرق	حسان أبوعاقلة	٧٥ شاعراً ٣ شاعرات المجموع ٧٨	-
رواد الفكر السوداني	محجوب عمر	٢٦	-
مختارات من الشعر السوداني	مجذوب عيدروس	٢٥ شاعراًوشاعرة واحدة المجموع ٢٦	-
الشعر السوداني في القرن العشرين	محمد الواثق	٢٩ شاعراًوشاعرة واحدة المجموع ٣٠	٩ على الغلاف الخارجي
شاعرات من السودان	روضة الحاج	١٢شاعرة	١١
٧ كتب	٧ مؤلفين	٢٢٥ شاعراً ١٥شاعرة المجموع ٢٤٠	٥٤

وبناءً على هذه المعطيّات واستناداً على دراسة المنهج المتبّع في كتب التوثيق التي توفرت على رصد الحراك الشعريّ في السودان إبان القرن الماضي ومقارنتها بأسس وقواعد التوثيق الحديثة ، يمكن القول بالآتي :

أولاً : صعوبة العمل على التوثيق في السودان؛ لأسباب شخصيّة تتمثل في عدم اهتمام الشعراء بحفظ معلوماتهم الذاتيّة والأدبيّة، ولأسباب اجتماعيّة فرضها الواقع الاجتماعيّ آنذاك.

ثانياً: اختلاط التوثيق بالنقد في كتابي : شعراء السودان لسعد ميخائيل، ونفثات اليراع لمحمد عبدالرحيم، وبعدهما كثيراً عن آلية التوثيق الصحيحة ، ومرد الأمر في ذلك يرجع إلى تلك الفترة ومحدوديتها.

ثالثاً: التركيز على شعر الرواد وعدم الالتفات إلى تجارب الشباب بالتوثيق إلا لماما.

رابعاً : ضعف الاهتمام بالتوثيق وقلة المشتغلين عليه، وقصور التمويل من قبل المؤسسات الحكوميّة والخاصة.

خامساً : خروج المنهج المتّبع في التوثيق –في بعض الأحيان- عن ثلاثيّة التوثيق العلميّ المتمثّلة في : السيرة الأدبيّة والنموذج الشعريّ والصورة الفوتوغرافيّة إلى الحديث عن أخلاق الشاعر وأسرته وقبيلته وما تشتهر به من كرم ومجد وشرف إلخ.

سادساً: إهمال شعر النساء وعدم الاهتمام بتوثيق تجاربهن الشعريّة ، مع توافر إنتاجهن ودواوينهن المطبوعة.

ونظراً لما تقدّم فإنَّ موسوعة الشعر السودانيّ الفصيح لفاطمة بوهراكة تقف في أعلى هرم التوثيق العلميّ الصحيح ؛ لالتزامها بثلاثيّة التوثيق من حيث الإتيان بالسيرة الأدبيّة والنموذج الشعريّ والصورة الفوتغرافيّة، بعيداً عن تفاصيل الحياة الذاتيّة للشاعر والمتمثلة في أسرته وقبيلته وأخلاقه، مع الالتزام التام بعدم تدخل ذات الموثّق بالنقد الذي هو من صميم شخصيّات أخرى تعمل عليه، لها أسسها وقواعدها العلميّة. وهذا يجعل التوثيق أكثر انضباطا ودقة والتزاما بالمنهج العلميّ المتعارف عليه في التوثيق، الأمر الذي يساعد على تقديم الشعراء وأشعارهم بطريقة سلسة ومفهومة إلى حد كبير.

والتزام منهج التوثيق بهذه الصورة يسهم كثيراً في عمليّة التمشيط البيبلوغرافيّ لأكبر عدد من الشعراء ؛ لأنه يبعد كل ما يعوق حركة التوثيق من التدخل العسيف بالنقد واللا اعتراف بشاعريّة الآخر، والانطباع الذاتيّ وغيرها من الأمور التي تشوه التوثيق ولا تمتُّ إليه بصلة.

ولما كان الأمر كذلك كان من الطبيعي أن يصل العدد الموثق له من شعراء وشاعرات الموسوعة إلى ثلاثمائة واثنين شاعرا وشاعرة في فترة لم تتجاوز الثلاثة أشهر فقط!. وهذا –والحق يقال- ما عجزت عنه كل الكتب السودانيّة التي توفر أصحابها على توثيق الحركة الشعريّة إبان القرن العشرين؛ إذ مجموع الكتب التي وقفت عندها ولا أحسب بوجود غيرها إلا قليلا ، لم ترصد في حراكها التوثيقيّ سوى مائتين وأربعين شاعراً وشاعرة ، منهم أكثر من ثلاثين شاعرا من الرواد تكرر ذكرهم فيها جميعها.

وهذا العدد يقف متواضعاً إذا ما قُورن بما رصدته الموسوعة في كتاب واحد فقط وفي مدة وجيزة جدا، إذ بلغ عدد الرجال في الموسوعة ٢٦٢ شاعراً بنسبة ٨٦,٧ %وبلغ عدد النساء عدد أربعين شاعرة بنسبة ١٣,٣% ليصبح أكبر عدد في تاريخ رصد وتوثيق شعر النساء في السودان مطلقاً، فيما توفرت جل كتب التراجم السودانيّة على توفير ٥٤ صورة فوتوغرافيّة من جملة ٢٤٠ شاعراً وشاعرة، مقابل ٢٨٤ صورة وفرتها الموسوعة من جملة ٣٠٢ شاعراً وشاعرة.

ولعل ما حملته الإحصائيّات من نتائج تؤكد حقيقة مؤلمة ، هي ضعف حركة التوثيق في السودان عامة، وإهمال شعر النساء خاصة، وإلا كيف يفسر وجود شاعرة رائدة في الموسوعة اسمها صفيّة الشيخ الأمين(بوهراكة، ٢٠١٩م،٣٥٤).، أول من طبعت ديوان شعر نسائي في السودان، ومع ذلك لم يوثق لها من قبل ولم يُشر إليها كتاب من قريب أو بعيد!؟ خلا الإشارة

إليها في كتاب" ١٠٠ شاعرة من العالم العربي قصائد تنثر الحب والسلام ١٩٥٠-٢٠٠٠م" على أنها أول شاعرة سودانيّة لها فضل السبق في إصدار أول ديوان شعر نسائي في السودان ١٩٦٦م. (بوهراكة، ٢٠١٧م،١١).

هذا ورغم أن الموسوعة أعطت شعر النساء حظاً وافراً ، إلا أنّها وغيرها من كتب التراجم السودانيّة أغفلت ذكر بعض الشاعرات اللائي ربما تقدمن ريادة الشعر النسائي في السودان، من أمثال الرضية آدم التي جاء ذكرها عرضا في كتاب " تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان " لمحمد مصطفى هدارة ، حيث قال عنها:" ولا يفوتني في جولتي العابرة مع القصائد الست للشاعرة الرضيّة آدم أن أنوه بقدرتها الفائقة على التصوير".(مصطفى هدارة، ب ت، ٦٠٠).

وهناك أيضاً الشاعرة فوزية دانيال التي لا يوجد لها أثر خلا الذي ذكره مصطفى سند – عرضاً- في تقديمه لديوان سميرة الغالي" للنورس أغنية أخرى" ، يقول:" وقد كان في بلادنا ظلال نبتت ذات يوم على ذاكرة انتفاضة أكتوبر فطرحت بروزا شعرياً أنثويّاً لست أدري أين ذهب واختفى : الرضية آدم ، فوزية دانيال ، صفية الأمين ، أسماء بنت الشمال، آمنة بنت وهب وغيرهن أيضا".(سميرة الغالي، ١٩٩٣م،٣٠).

وكأي عملٍ إنساني يتعرض للخطأ والنقصان ، مهما حاول صاحبه النزوع إلى الجودة والكمال- شابت الموسوعة بعض الأخطاء الطباعيّة والإملائيّة والنحويّة التي وقعت في أكثر من خمسمائة كلمة وكذلك بعض الأخطاء التي وقعت في ترتيب الفهرس .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك مجموعة من الشعراء ممن عاشوا إبان الفترة التي عملت الموسوعة على تغطيتها بيبلوغرافيّا ولكن لم تتناولهم الموسوعة ، منهم:

١/ أحمد المرضي ١٨٨٤م.

٢/ علي أفندي أرباب ١٩٠٦م.

٣/ محمد الأمين القرشي ١٨٩١م.

٤/ منير صالح عبدالقادر ١٩١٩م.

٥/ عبدالقادر أفندي إبراهيم ١٩٠٩م.

٦/ محمد أفندي السيد ١٩١٠م.

٧/ حسن نجيلة ١٩١٠م.

ينضاف إلى ذلك الشاعر الحسن العبادي الذي تم التوثيق له في الموسوعة،وقد عاش خارج الفترة الزمنيّة التي اشتغلت عليها الموسوعة (١٩١٩-٢٠١٩م)؛ إذ توفي عام ١٩٠٧م.(بوهراكة، ٢٠١٩، ٢٢٩).

وتجدر الإشارة كذلك إلى وجود ثلاثة وثلاثين شاعراً وشاعرة في الموسوعة لم تذكر تواريخ ميلادهم. وعشرة آخرين لم تذكر أماكن ميلادهم ، وأربعة وثلاثين ديوان شعر ذكرت بلا تاريخ للطبع. ولا ضير في ذلك ، وذكره من باب الحصر فقط.

خاتمة

تناولت هذه الدراسة موسوعة الشعر السودانيّ الفصيح لفاطمة بوهراكة ، بغية توضيح الدور الذي لعبته الموسوعة في توثيق الشعر السودانيِ الفصيح إبان مائة عام ماضية، تمتد من ١٩١٩-٢٠١٩م. وبعد مفاتشة الموسوعة وإعمال النظر في منهجها الذي انتهجته ، ومن خلال مقارنتها بكتب التراجم السودانية التي توفرت على التوثيق ، منهجا وكماً وكيفاً ، انتهى التجوال والتطواف إلى مجموعة من النتائج ، أهمها :

أولاً: صعوبة العمل على التوثيق والاشتغال عليه في السودان ؛ لأسباب شخصيّة وسياسيّة واجتماعيّة وأيدلوجيّة كثيرة.

ثانياً: اختلاط التوثيق بالنقد في بعض الكتب السودانية التي توفرت على التوثيق واشتغلت عليه، نحو كتابي:" شعراء السودان لسعد ميخائيل و نفثات اليراع لمحمد عبدالرحيم".

ثالثاً: ضعف الاهتمام بالتوثيق في السودان عامة ، وتركيز الموثّق السودانيّ على شعر الرواد وإغفاله لما سواه من شعر النساء وشعر الشباب، وعدم الالتفات إليهما إلا قليلا.

رابعاً: خروج منهج التوثيق -في بعض كتب التوثيق السودانيّة- عن ثلاثيّة التوثيق العلميّة، المتمثلة في السيرة الأدبيّة، والنموذج الشعريّ والصورة الفوتوغرافيّة إلى الحديث عن قبيلة الشاعر وأخلاقه وأسرته وغير ذلك من الأمور التي لا علاقة لها بالتوثيق.

خامساً: التزام موسوعة بوهراكة بالمنهج العلميّ في التوثيق وحيادها التام عن التدخل في تفاصيل الحياة الذاتيّة للشعراء الموثق لهم، وعدم القفز إلى مجال النقد ، الأمر الذي ساعد على تقديم ثلاثمائة واثنين شاعراً وشاعرة بطريقة سلسة ومفهومة إلى حد كبير.

سادساً: اهتمام الموسوعة بشعر النساء وتقديمها لأربعين شاعرة للمكتبة العربيّة عامة والسودانيّة خاصة، في سبق لم تستطعه جل الكتب السودانيّة التي توفرت على عدد خمس عشرة شاعرة فقط.

سابعاً: إبراز الموسوعة لعدد مقدَّر من الشعراء المغمورين والمهمشين لأسباب سياسيّة وأيدلوجيّة ونقديّة وانطباعيّة، وتقديمهم للساحة الشعريّة في الوطن العربيّ عامة، والسودان خاصة.

ثامناً: أتاحت الموسوعة نصيباً وافراً لتجارب الشباب الشعريّة من خلال رصدها وتوثيقها وهي في باكورة إبداعها الفنيّ ، وفي هذا تشجيع لم يُحظَ به الشباب من قبل.

تاسعاً: وصول الموسوعة ورصدها لثلاثمائة واثنين شاعراً وشاعرة في عدد لم يتوصل إليه من قبل، بل فاق عدد الشعراء في جل الكتب السودانيّة التي اشتغلت على التوثيق ولم تصل إلى أكثر من مائتين وأربعين شاعراً وشاعرة.منهم أكثر من ثلاثين شاعراً من الرواد تكرر ذكرهم

المصادر والمراجع :

-المحجوب، محمد أحمد. ١٩٩٩م. نحو الغد، الخرطوم، دار البلد.

– باشري ، محجوب عمر.١٩٩١م ،رواد الفكر السوداني، دار الجيل، بيروت.

- بوهراكة ، فاطمة بوهراكة. ٢٠١٧م، مائة شاعرة من العالم العربي(قصائد تنثر الحب والسلام ١٩٥٥-٢٠٠٠م).

-بوهراكة ، فاطمة بوهراكة. ٢٠١٩م، موسوعة الشعر السودانيّ الفصيح (١٩١٩-٢٠١٩م) ، مطبعة بلال بفاس.

- حسان أبو عاقلة أبو سن. ب ت، قصائد من الشرق، كسلا، شركة كسلا للطباعة والنشر.

- روضة الحاج٢٠١٠م. شاعرات من السودان،الخرطوم ،سلسلة مطبوعات الاتحاد العام للمرأة السودانيّة،.

-سعد ميخائيل. ب ت. شعراء السودان ، مصر ، مطبعة رمسيس بالفجالة.

-سميرة الغالي.١٩٩٣م. ديوان للنورس أغنية أخرى ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم.

-طمبل ، حمزة الملك طمبل .٢٠٠٥م. الأدب السودانيّ وما يجب أن يكون عليه ومعه ديوان

الطبيعة،الخرطوم ،الأمانة العامة للخرطوم عاصمة الثقافة.
-عبد اللطيف صوفي. ب ت. مدخل إلى علم البيبلوغرافيا والأعمال البيبلوغرافيّة، الرياض، دار المريخ.
-مجذوب عيدروس. ٢٠٠٥م. مختارات من الشعر السودانيّ بين التقليد والتوق إلى الحداثة ، بيروت/ لبنان ، (سلسلة كتاب في جريدة)
-محمد عبد الرحيم.ب ت. نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع، الخرطوم ، شركة الطبع.
١٣/ محمد الواثق، ٢٠٠٩م،الشعر السودانيّ في القرن العشرين (آراء وقصائد)، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم.
١٤/ مدني (الأمين علي مدني) ب ت، أعراس ومآتم، إعداد محمد صالح حسن وآخر، دار الوثائق القوميّة، الخرطوم.
١٥/ هدارة (محمد مصطفى) ب ت، تيارات الشعر العربيّ المعاصر في السودان، دار الثقافة ، بيروت.